مواد كلية في النحو واللغة

مدينون ام مدينون — مظاهرة ام تظاهرة — مرمح ام مسرح

استاذي العزيز الدكتور صروف لاعدمتهُ

ان اشتغالي السنين الطويلة في درس النحو واللغة وتدريسهما يسوّغ لي ان اعرض المواد الآتية على انظاركم وانظار المفكرين في هذه المسائل والمشتغلين بها لعلّ فيها ما يلفت النظر من جديد الى هذه المباحث التي يجب ان يُنظر فيها كما يُنظر الى سائر الابحاث الادبية والاجتماعية في الوقت الحاضر اي نظراً مبنيًّا على قواعد راهنة يتفق فيها العقل والنقل معًا ويُطرح فيها كل رأي ليس فيهِ ما يقبلهُ العقل بوجهٍ من الوجوه المنطقية المقبولة لدى اولي الفكرة والنظر الصحيح . وحسبي فيما اكتبهُ الآن ان انبّه بهِ خواطر ادبائنا وعلمائنا الاعلام المتحفزة لمثل هذه المسائل الى ملاحقة هذه الابحاث وايضاح ما غمض منها ولهم اجر المحقق المستقصي وبي اجر المبتدي . وغاية ما اؤمّلهُ ان لا اكون قد ضللتُ السبيل المؤدّي الى نقض هذه المفازة البعيدة الارجاء والغامضتها معًا والله الموفق الى الصواب

﴿ المادة الاولى ﴾ كلّ ما عُدل عنهُ من المسائل الإعرابية لغرض ما كالاستثقال مثلاً او خلافه فالعدول جوازٌ لا وجوب . والرجوع الى المعدول عنهُ لاقامة وزن اولحسن رصف مثلاً جائزٌ مطلقاً وكذلك اذا لم يكن الثقل على معظمهِ

مثلاً المنقوص من الاسماء المعربة كالقاضي والماشي تقدّر عليهِ كل الحركات مطلقاً للخفّة ولاسيما الضمة والكسرة فاذا احتيج اليها اي الى الحركة او لم يكن الثقل على معظمهِ عادوا الى الاصل قال بعضهم

ولو انّ واشٍ باليمامة دارهُ ودارِي بأعلى حضرموت اهتدى ليا

وقال آخر

يا قاضيَ الحبِّ انشد في قضائهِ فالخطُّ زورٌ والشهود سكارى

تقدّر الاول الحركة على « واشٍ » تخفيفاً واقامةً للوزن واظهرها الثاني على « قاضي » للحاجة اليها . ويجوز لهُ اظهارها ايضاً من غير حاجةٍ لان الثقل ليس على اشدّ مما لو كانت الحركة ضمةً او كسرةً فان الذوق يأبى الرجوع اليها حينئذٍ من غير ما حاجةٍ

وكذلك الاسماء غير المنصرفة فانها تجرُّ بالفتحة ولا تنوَّن للثقل فاذا احتيج الى الحركة والتنوين كان للمحتاج ان يرجع الى الاصل قال امرؤ القيس

ولما دخلت الخدر خدر عنيزة فقالت لك الويلاتُ انك مرجلي

احتاج الى التنوين فصرَّف ونوَّن

وجاء في افصح كلام عربيّ منثور نقل الينا تنوين « سلاسل » لغير ما حاجة لان النقل بخصوصيةٍ في اللفظة يدركها الذوق ليس هو على اشدهِ. ولو ترك قارئ التنوين في الآية لاخلَّ ايضاً حسن الوصف اختلالاً شديداً كما لا يخفى على ذي ذوق

وكما جاز الرجوع الى التنوين في الاعلام غير المنصرفة للحاجة او للحنة جاز في المنصرفة منها ترك التنوين للغرض نفسهِ قال بعضهم

ادور على رغمك ولا اراهُ كاني طالبٌ لسعيد بثلا

﴿ المادة الثانية ﴾ حرف المد المتطرّف كالياء في قاضي وساعي ويقضي وكالالف في فتى وأفتى ويسعى وكالواو في يغزو هو عبارة عن حركة مشبعة فاذا جاء بعدهُ ساكن من تنوين او ال تعريف تُرك الاشباع كقولهم فتى ولا كالك وفتى الفتيان وقاضي القضاة . ويقضي الله بما يشاء . وكقولك كانوا وهم في الجاهلية تغزو القبيلة اختها . كل ذلك يحذف فيهِ حرف المد لفظاً لا خطاً . هذا هو الاصل وتركهُ هذا الاصل مع التنوين في مثل قاضٍ دون فتى وكذلك مع الجازم في الفعل المجزوم كلم يقضِ الدَّين الذي عليهِ لا وجه لهُ ولا مسوّغ . وتعليل النحاة ان الجازم لما لم يجد الحركة في آخر الفعل اخذ حرف العلة الشبيه بها ، تعليل لا منطق فيهِ اصلاً . وبقاء هذا التعليل معمولاً بهِ عندنا الى اليوم وصمة في منطقنا لا يمحوها الأ محو اثرٍ من مكتوباتنا المتجدّدة . والذي اراهُ هو ان نكتب المجزوم والمرفوع في مثل — لم يرى الراون — ولا يرى الراون — بصورة واحدة اي باثبات حرف العلة خطاً في الاثنين والاَّ فالحذف لفظاً وخطاً اولى فيهما لاشتراكهما في العلة الواحدة وغاية ما نتساهل فيهِ ان يبقى الرسم القديم على حالهِ في المشهورات المعروفة لدى الخاص والعام ولا ارى هذه الميزة الاَّ لما رسم في المصحف . واما ما سواهُ من الرسوم القديمة التي توسعوا فيها فأرى ان لكلٍّ رأيه اي ان يبقى على الخطإ في الرسم او يُرجع فيهِ الى الاصل كما يشاءُ

﴿ المادة الثالثة ﴾ كل ما هو متعارف اعرابهُ في لغة مشهورة كلغة تميم مثلاً او لغة الحجاز او تهامة او نجد فلكلٍّ ان يجري على ما يعرفهُ من هذه اللغات فتقول «ما قتل

المحبّ حراماً او حرامٌ» و«ليس الطيب الاّ المسكَ او المسكُ» بالاعمال او الاهمال. وقد يدخل تحت هذه المادة الجوازم والنواصب فانهُ عند الحاجة يجوز اهمالها كما يجوز اعمالها

وهنا اقول ان كل لغةٍ في الاعراب جاءت في المصحف في احدى القرآآت المعتبرة يجوز القياس عليها اطراداً في كل الباب ولاسيما عند الحاجة. ومن ذلك الوقف على آخر المضارع في الدّرج فان القراءة وردت فيهِ وعليها قول الشاعر الصحابي « كما ارجح »

اني امرؤ عاهدني خليلي الاّ أُقيم الدهر في الكبولِ
أُضربْ بسيف الله والرسول

فانهُ وقف على المضارع في الدرج فترك علامة الاعراب ، ولما كان الشاعر من صميم العرب وفصحائهم وفوق ذلك واقف في شعرهِ ما جاء في المصحف كان لنا أن نتابعهُ في كل صيغة مضارعٍ حيثما جاءت ولاسيما اذا كان في الوقف حسن رصف أو اقامة وزن. وازيد فاقول ان الوقف هو الاصل وعلامة الاعراب عارضة وكان يجاء بها ابتداء لاقامة الوزن في الشعر او للفنة وما اليها ثم اصبحت يوقى بها تسهيلاً لتفهم . والعارض لا يُعدل اليهِ عدولاً وجوبيًّا الاّ لعلةٍ التي اوجبتهُ فارجو متأملاً أن يتأمل ولا يستهو يقول أعراب عن اللغة لتقدم زمانهم ليس الاّ

استطراد

يخال اليّ ان هنا مناسبة بين ما ذكرتهُ وبين ما جاء للامام السيوطي في مزهرهِ المشهور نقلاً عن ابي زيد احد الذين نُقلت الينا اللغة عن رواياتهم قال[1] طُفتُ في عليا هوازن وهذيل اسالهم عن هذا الحرف وهو كل فعل ثلاثي مفتوح العين وليس ثانيه وثالثهُ من حروف الحلق ولا من الحرف الهاوي ، بالضم هو في المضارع ام بالكسر، فلم أرهم يفرقون بين الحركتين بل يلفظ لافظهم كما يتهيا لهُ فيقولون ضَرَب يضرُبُ ونفَرَ ينفرُ ونصرَ ينصرُ بالضمّ او بالكسر اه . وانا اعجب من بعضهم على علمهم واتساع مطالعاتهم كيف يضيّقون على انفسهم وعلى غيرهم في هذه الحركة فينكرون على من يقول يضرِب بالضمّ او ينصرِ بالكسر اشدّ النكير كأنهُ قال ما يقرب من الكفر

﴿ المادة الرابعة ﴾ في الالفاظ المشتقّة ما وافق القياس المشهور والمتعارف هو اولى بالاستعمال من الجائز فيهِ مثالهُ

(١) نقلت هذا عن ذاكرتي واخاف ان تكون خانتني في نقل النص بحرفه فليراجع المزهر شاكر وله الفضل

اسم المفعول يأتي من كل فعل ثلاثي متعدٍ على وزن مفعول الاَّ انهُ من الاجوف قد تترك واوهُ للخفة فتنقلب صورة مفعول الى فعول او فعيل واليك بيان ذلك

نقول من صانَ يصون مصوُون بالاتمام على الاصل ومصون بالنقص وواضح ان لفظ مصون قريب في السمع من لفظ مَصوُون وفي الوقت نفسهُ هو اسهل لفظاً منهُ على اللسان واشهى في السمع ولهذا يُعدَل اليه دون الاصل . وقد بيَّنا فيما مرَّ ان كلما عدل فيهِ عن الاصل للخفة يجوز الرجوع فيهِ الى الاصل عند الحاجة او اذا لم يكن الثقل على اشدهِ

مَديون ام مَدين

ونقول من الاجوف اليائي باع يبيع مبيوع فتركوا لفظ مبيوع الى مبيع ولا يتمُّ ذلك الاَّ بقلب الضمَّة كسرة بدلاً — والضمة والكسرة لتبدَّل احداهما من الاخرى بكثرة — ثم بقلب الواو ياء تبعاً لقلب الضمة كسرة ثانياً فيصير اللفظ الى مبيع وهذا يقلب الى مبيع ولعلَّ لفظ مبيع اخفُّ شيئاً من لفظ مبيوع كما انَّ لفظ مصون اخفُّ شيئاً من لفظ مصوُون . ولانَّ اللفظين يردان كثيراً على الالسنة والفرق بينهما في الخفة ليس على اشدهِ جاء في الخيار من غير ما حاجة استعمال الصورتين . فقالوا مصوون ومصون ومبيع ومبيوع لكن يقال بالاجمال ان الاجوف اليائي يكثر فيهِ الاتمام على الالسنة و يكثر في الواوي النقص مع بقاء الواو او قلبها ياء فتقول من دان يدين مديون بالاتمام فانهُ اكثر دوراناً على الالسنة قديماً وحديثاً . الاَّ ان بعض الادباء او معظمهم قد عدلوا مؤخراً عن استعمال مديون الى استعمال مدين ولم يخلطوا بقوانين البلاغة التي توجب اختيار المتعارف والمألوف دون غيرهِ . ومع ان هؤلاء الادباء قد اخطأوا الاختيار في استعمالهم مدين دون مديون « على ما ارى » فيحقُّ لهم ان يعتمدوا على ذوقهم في غيرهِ فليس كل « مفعول » من اليائي يفضَّل فيهِ الاتمام ولا كل « مفعول » من الواوي يستحسن فيهِ النقص فان لفاء الفعل ولامهِ دخلاً كبيراً في ترجيح اختيار احدى الصورتين دون اختها لحسن وقعها في السمع او لسهولة التلفظ بها على اللسان

مظاهرة ام تظاهرة

رأيت كثيرين منذ السنة التي مضت يعدلون الى تظاهرة بدلاً من مظاهرة الشائعة والمشهورة في الاستعمال ولا ارى وجهاً لهذا العدول و بيانهُ :

نقول ظاهر زيدٌ عمراً عاونهُ فتظاهرا اي تعاونا كما تقول شارك زيدٌ عمراً فتشاركا ونقول ظاهر القوم بعضهم بعضاً فتظاهروا اي تعاونوا كما تقول شارك القوم بعضهم بعضاً

تشاركوا ولا تقول تظاهر القوم بعضهم بعضاً كما لا تقول تشارك القوم بعضهم بعضاً . وتقول العجبي مظاهرة القوم بعضهم بعضاً ومشاركتهم بعضهم بعضاً تبعاً لفعليهما و يُستغنى ايضاً في المثالين من ذكر « بعضهم بعضاً » ولا تقول العجبي تظاهرة القوم ولا تشاركتهم بدون اتباع المثالين بقولنا « بعضهم بعضاً او بعضهم لبعض » لان المظاهرة كفعلها خاصة بالتعاون فيستغنى عنها بالاضافة عن القيد. واما التظاهرة فاذا لم نقيد احتملت كفعلها معنى التعاون او التدابر لان قولنا تظاهر القوم بالاطلاق اي بدون قيد يجوز فيه فهم معنى المعاونة ومعنى التدابر والمقاطعة فلا بدَّ اذن من القرينة لتعيين معنى المعاونة كان نقول تظاهر القوم على عدوّهم بخلاف المظاهرة فانها خاصة بالمعاونة مطلقاً فلا تحتاج الى ذكر القرينة

و بناء على كل ما مرَّ ارى انهُ يجوز استعمال مظاهرة مطلقاً لعدم الخطإ في استعمالها ان من جهة اللفظ او من جهة المعنى واما تظاهرة فلا يجوز استعمالها اصلاً لخطأ الفكري الذي قد لا تفطن لهُ فيُسرع مع الغفلة عنهُ الى تجويز ما لا يجوز الاَّ اذا ضمنا اللفظ معنى هو موضوع لهُ اعتباطاً . وفوق كل ذي علم عليم

مرسح لم مسرح

وما اراهُ يقرب من باب مظاهرة وتظاهرة ما ذاع مؤخراً من استعمال مسرَح بدلاً من مرسح واستعمال كلا اللفظين للمعنى المراد بهِ اليوم هو من باب النقل المبني على المجاز اي استعمال الاصل فيما هو ملابس لهُ او فيما هو شبيه بهِ فلننظر في اللفظين ايهما اولى من صاحبهِ في المعنى الذي نُقل اليهِ

ان لفظ مرسح معروف الاستعمال في الشام كلها بمعنى الفسحة الواسعة في القرية يجتمع فيها الناس ايام افراحهم واعيادهم ليلاً او نهاراً فيلعب اللاعبون و يرقص الراقصون و يتبارى المتبارون حتى و يمثّل الممثلون في هذه الفسحة ويجلس غيرهم حواليها من كل الجهات او من اكثرها يتفرّجون وقد يكون في القرية عدة فسح كعدد الحارات تقام فيها هذه المراسح [1] . والفرق بينها و بين ما يسميهِ الادباء الآن بمسارح التمثيل (عدولاً عن مراسح) انما هو في ان المرسح القديم فسحة من الارض لا بناء عليها والمسرح الجديد عليهِ

(١) المرسح في الاصل الفسحة اي المكان ويجوز استعماله لما يتسع فيه لانه من ملابساته التي تدرك بادراكه

بناء . واذا راجعنا تاريخ هذه المراسح او (المسارح) الى اول نشأتها عند اليونان رأيناها كالمراسح الباقية في اغلب قرانا الشامية الى اليوم . والمشابهة ظاهرة كل الظهور بين الحالة الاولة للمرسح والحالة الثانية التي نُقل اليها وكذلك الغرض منها . اذن فنقل استعمال لفظ المرسح الى صورته المستجدة لا غبار عليه — الاّ ان يُرجع الى الحصن الحصين لبعضهم — اعني « لم يرد » اولم ينقل في معاجم اللغة

وهنا نسأل هل نُقل لفظ مسرح في المعاجم لهذا المعنى او لشبيه به . الجواب : لا اظنّ انّ منصفاً يجيب بالايجاب عن هذا السؤال . اذن فللرجوع الى اصل معنى الفعل المشتقّ منهُ لفظ المسرح

جاء في محيط المحيط سرح المالُ يسْرَح سامَ أي رعى بنفسه . وسرح الراعي المواشي سرحاً اسامها أي ارسلها ترعى . يتعدّى ولا يتعدّى . وسرح الرجل «سلح» . و بولهُ تغير . وما في صدره اخرجهُ وقلانا ارسلهُ وسرّح الراعي المواشي اسامها . والسارح اسم فاعل والماشية مرتعهُ سارحة

وانت ترى ان ليس في معاني الفعل ما ينطبق بل ولا يناسب ان ينطبق على المعنى المشتقّة لهُ هذه الصيغة اذن فلكي يصح استعمال المشتق يجب ان نستعمل الفعل في معنىً لم يرد لهُ استعمال اصلاً فبالاولى أن يكون المعنى المراد لمشتقهِ لم يرد ايضاً اولم يُنقل فهو اذن ولفظة مرسح سواء من هذا القبيل اي انّ كلاًّ منها « لم يرد » لكن لمرسح قدميّة وشيوع ليستا لمسرح فضلاً عن ان لفظ مرسح خاصّ ولفظ مسرح مشترك بين معانٍ كثيرة و بعضها يؤنف من تصوّرها اذا احضرها الذهن امامهُ

وازيد فاقول انّ لفظ مرسح من الاوزان العربية الفصحة ولهُ في الاستعمال مئات السنين شائعاً عاماً في قطر عربي كان ولا يزال جزءاً من صميم البلاد العربية منذ اقدم الايام الى اليوم بل ارجح انهُ معروف ايضاً في مصر والعراق بالمعنى الشائع والمعروف في طول بلاد الشام وعرضها

وهذا القدر يكفيني الآن . ولعلي اعود الى متابعة الموضوع اذا مكّنتني صحتي ورأيت عند الادباء وعبي اللغة اهتماماً يزيد من رغبتي في الكتابة والكلام

سوق الغرب لبنان جبر ضومط